بسم الله الرحمن الرحيم

[تفريغ المجلس ٣٠]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا- أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

انتهينا من الحديث الثامن عشر، الذي ذكره الإمام النووي في كتابه الأربعين، ثم ذكر بعد ذلك حديثا آخر، وهو أيضا حديث عظيم، الحديث التاسع عشر، وهو حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الحديث التاسع عشر

عَن أَبِي العبَّاسِ عبْدِ اللهِ بن عَبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: { يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ}.

رواه التِّرمذيُّ، وقال: حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ. [رواه الترمذي ٢٥١٦]

وفي رواية غيرِ التِّرمذيِّ: {احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا}.

[رواه أحمد في مسنده ٢٨٠٣]

[حول إسناد الحديث]

هذا الحديث رواه الترمذي في اللفظ الأول -وغيره-، وكذلك رواه الإمام أحمد في اللفظ الثاني، وكلاهما من طريق حنش الصنعاني عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وتُكلم في الإسناد من حيث وجود شيء من الانقطاع، وجاء من طرق أخرى كثيرة، وإن كان في بعض أسانيدها ضعف، ولكن أصحها هو طريق حنش الصنعاني الذي رواه الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ، كما قال الحافظ ابن رجب، والإمام ابن منده رحمة الله تعالى على الجميع.

ونحو هذه الوصية جاءت من النبي ﷺ لبعض الصحابة، كعلي بن أبي طالب، وأبي سعيد الخدري، وسعد، عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بأسانيد ضعيفة.

[المكانة العظيمة لهذا الحديث]

وهذا الحديث ذكره ابن الصلاح في أحاديثه الكلية، كما ذكرنا في أوائل هذا الدروس، وأن من أول من جمع أحاديث كلية هي أصول الدين وقواعده هو ابن الصلاح رَحِمَهُ اللَّهُ، جمع نحو ٢٦ حديثا، أخذها الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ وأتم عليها هذه الأحاديث.

هذا حديث عظيم، وجليل ويتضمن فوائد كثيرة، وقواعد كلية في الدين، وخاصة فيما يتعلق بباب الاعتقاد، وكذلك فيما يتعلق بتقوية علاقة القلب بربه جَلَّ وَعَلَا، وقد قال بعض العلماء **(تدبرت هذا الحديث فأدهشني فكدت أطيش، فوا أسفاه من الجهل بهذا الحديث، وقلة التفهم فيه)**[1].

والحافظ ابن رجب شرحه في كتابه الأربعين، وأفرده برسالة سماها "نور الاقتباس في مشكاة وصية ابن عباس" وهي مطبوعة، وحتى شرحه في الأربعين قد ضمنه الكثير من الفوائد.

[1] قاله ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ انظر جامع العلوم والحكم (ص٤٦٢).

[تذكير موجز بترجمة ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا]

في لفظ الحديث قال عبد الله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الراوي الصحابي أبو عبد الله عبد الله بن عباس بن أبي طالب، فهو ابن عم رسول الله ﷺ، ويعد من صغار الصحابة، وهو أحد العبادلة الأربعة، وولادته كانت قبيل الهجرة، زمن كان النبي ﷺ وبنو هاشم مقاطعين في الشعاب، فثم ولد ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولهذا فإن النبي ﷺ توفي وكان قد قارب الاحتلام، ولما ناهز الاحتلام، فهو من صغار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومع ذلك كان يلازم النبي ﷺ، ويبحث عن حديث ويسعى في تعلم السنة منه ﷺ.

وهو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يعد من المكثرين في رواية الحديث، كما جاء في البيت:

والمكثرون في رواية الأثر * أبو هريرة يليه ابن عمر**

وأنس والبحر والخدريّ * وجابر وزوجة النبي**

والبَحر والحَبر والحِبر هو ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كثر حديثه عن النبي ﷺ.

فهاهنا يحفظ لنا هذه الوصية، ويرشده أبوه إلى النبي ﷺ، فيصلي العشاء، فيخرج وينصرف الناس، ويبقى هو في المسجد، فصلى ﷺ ركعات والتفت فإذا بابن عباس، قال (ابن عباس) قال (**نعم**) قال (من أرسلك العباس؟) قال (**نعم**) فأدخله، وبات في بيت النبي ﷺ مع خالته ميمونة بنت الحارث، بات النبي ﷺ وزوجته في طول الوسادة وهو في عرضها، وحفظ من رسول الله ﷺ صلاته من الليل، حفظ لنا كل ما كان تلك الليلة.

فذكر أنه ﷺ نام وزوجته في طول الوسادة، وهو في عرضها، وفيه جواز مبيت الصبي مع الرجل وأهله، وحفظ لنا نومه وقيامة، ودخوله للحاجة، وخروجه، ووضوءه، ثم صلاته، ثم عودته إلى نومه، ثم مجيء المؤذن يؤذنه بالصلاة، ثم قيامه وقراءته لبعض الآي من سورة آل عمران، في حديث عظيم تضمن فوائد كثيرة حتى أوصلها بعض أهل العلم في هذا الحديث -وهو مبيت ابن عباس عند النبي ﷺ مع زوجته ميمونه وهي خالته- ذكروا فيه ما يربو عن مائة فائدة[1].

[1] روى الأثر مسلم في صحيحه (٧٦٣).

وكذلك له وقائع كثيرة، وفي هذه الواقعة دعا له النبي ﷺ قال (اللّٰهُمَّ علمه الكتاب)[1] وفي رواية (اللّٰهُمَّ فقهه في الدين) وفي رواية (اللّٰهُمَّ علمه الحكمة)[2] وفي رواية (اللّٰهُمَّ فقهه في الدين وعلمه التأويل)[3] فكان ابن عباس عالما من العلماء، عالما بالفقه والتفسير والحديث، حافظا للسنة، عالما في الفرائض.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقدمه مع الأشياخ، فيقولون: يا أمير المؤمنين، تُجلس معنا الغلام، وهو في سن أبنائنا، وهذا مجلس اختصه أمير المؤمنين لكبار السن والشيوخ أصحاب رسول الله ﷺ، فكان عمر يتحين المواضع ويسألهم عن مسائل، فيجيب فيها القوم بما يجيبون، ثم يقول للغلام **(تكلم يا ابن عم رسول الله)** فيفيض ابن عباس رضي الله عنهما بما تفضل الله به عليه من علم، حتى يقول عمر رضي الله عنه **(ما أعلم من ذلك إلا ما ذكرت يا ابن عمر رسول الله ﷺ)** ويقول **(لهذا كنت أقدمه)**[4].

وأثنى عليه الصحابة رضي الله عنهم بما أوتي من علم، وبعد وفاة النبي ﷺ قال ابن عباس لأحد من كان معه ممن هو في سنه **(تعال بنا لنسمع ونحفظ حديث رسول الله ﷺ)** فقال: أو ترى الناس يحتاجون إليك، فتركه وذهب ليجمع حديث النبي ﷺ فحفظ، وحفظ، وبعد أن كبر مر الرجل وإذا بالناس ملتفون حوله، فقالوا: من هناك؟ قالوا: ابن عباس، قالوا: ماذا هناك؟ قالوا: هو يحدث عن رسول الله ﷺ، فقالوا: قد أدرك -أو كما قال-.

احتاج الناس إليه، وقد جمع من أحاديث رسول الله ﷺ الشيء الكثير، وبلغ مبلغا من العلم، ومن علماء الصحابة بالتفسير ابن مسعود، ووفاته كانت سنة ٣٢هـ وكان يذكر ابن عباس بخير وبعلم وفضل، وعاش ابن عباس بعد ابن مسعود ٣٦سنة، ووفاته كانت ٦٨هـ، فما العلم الذي حصّله؟ لا شك أنه شيء عظيم رضي الله عنهما.

[1] أخرجه البخاري (٧٢٧٠).
[2] أخرجه البخاري (٣٧٦٥).
[3] أخرجه البخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٦٤٥) وأحمد (٢٣٩٧).
[4] رواه أحمد (١٤/١) (٨٥)، وابن أبي شيبة (٣٨٣/٦)، وابن أبي عاصم في ((الآحاد والمثاني)) (٣١٢/١) (٣٨٦)، والحاكم مطولاً (٦٠٤/١). وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه.

[تواضع رسول الله ﷺ وحرصه على التعليم]

قال (**كنت خلف النبي ﷺ**) وهذا ما يدل على أنه من حرصه على ملازمة النبي ﷺ، في بعض الروايات (**وضع كفه على كتفي**) وهذا من الرفق بالمتعلم، ومن الرفق بالصبي، والأدب واللين في المعاملة.

(**فقال لي**: **يا غلام**) في بعض الروايات قال (يا يغليّم)، والتصغير دليل الرأفة والرحمة، والأخذ بالحفظ والصون، واللين والسهولة، والرأفة.

(إني أعلمك كلمات) في رواية (ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن) فقوله (إني أعلمك كلمات) دعوة للتعليم، وهذا يكون آنس وأدعى للاستماع، ومثله العرض (ألا أعلمك..)، (ألا) حرف عرض، والعرض تأكيد زائد على الطلب، (ألا تأت؟) الطلب (إيتنا)، (زرنا) أزيد منه (ألا تزورنا؟)، (ألا تأتينا)، وفوقه التحضيض أي: طلب مع شدة في التأكيد (هلا جئتنا؟).

فهنا عرض ورفق، طلب وزيادة، ترغيبا في الإجابة والاستجابة (ألا أعلمك كلمات) وصفهن بقوله (ينفعك الله بهن) وهذا آكد وأدعى للتعلم، والإنصات، والاستماع، أي أنه سيعطيك ما ينفعك، وذلك يفيدك (ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن) ثم ذكر له الحديث، وقد تضمن مقاصد عظيمة.

[بذل العلم للصبي وعدم احتقاره]

ومن فوائده تعليم الغلام، والصبي، والحرص على ذلك، لا يقال: هو صغير، لا يقال: لا يفهم، لا يقال: ليس زمنه زمن التحمل للعلم، مادام مميزا ويفهم فإنك تأخذه باللين، واللطف، والعاطفة، والرأفة، والسهولة، والحفظ والرعاية، وتتخير من حسن الألفاظ ما به يصل الفهم إلى هذا الغلام، وربّ كلمة يكون لها في أذن الصبي موقعا عظيما.

وكم يوجد مثل هذا إذا قرأت تراجم العلماء، فإنك تجد مثل هذا كثيرا، ينفع الله ﷻ الصبي والغلام بكلمة واحدة يذكرها أحد العلماء، فينفعه الله ﷻ بها.

فإذن أبدا لا يتوانى ويتأخر الإنسان أو يتساهل أو يتكاسل في مثل هذا، بل يبين ويرشد، ويدعو، ويعلم، ويلين الكلام، ويحسن، يتلطف، فقد يكون له موقعا من قلب هذا السامع.

[الجزاء من جنس العمل]

فذكر علوما وأمورا وقواعد عظيمة، (احفظ الله يحفظك) والقاعدة المعلومة التي ذكرناها غير مرة (الجزاء من جنس العمل) قال ﷻ ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ..﴿١٥٢﴾﴾البقرة، ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ ...﴿٧﴾﴾إبراهيم، وقال ﷺ (ومن يتصبر يصبره الله، ومن يتعلم يعلمه الله)[1] وقال ﷺ (وإنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم)[2] وقال ﷻ في الحديث القدسي (من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خيرا منه)[3]، وقال ﷺ (إن تصدق الله يصدقك)[4]، فالجزاء من جنس العمل، وهذه قاعدة مطردة، يجازيك الله ﷻ بما تعمل، إن خيرا فخير، وإلا فالعكس، ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾الزلزلة.

وقد يفيض الله ﷻ على عبده فضله، فيتجاوز عنه، فهذا من أدلة هذه القاعدة، والنصوص في هذا الباب كثيرة، لو جئنا إلى جمعها لبلغ معنا في ذلك سفرا جليلا، وقد جمعها بعضهم في نحو مجلدين في هذه النصوص، التي فيها الجزاء من جنس العمل، فما تفعل تُجازى به، ومن هذا الحديث.

[معنى (احفظ الله)]

(احفظ الله يحفظك) الشرط أن تحفظ الله، والجواب يحفظك الله ﷻ، ما معنى (احفظ الله يحفظك) هل أنت ترعى الله وتحميه؟! ليس هذا، وإنما المراد (احفظ الله) أي احفظ حدوده، أن تراعي حدوده، وأن تراعي شرعه، أمره ونهيه، تقف عند الأمر فتمتثل وتفعل، وتقف عند النهي فتترك، وتبتعد، ولا تقع فيه، ولهذا قال ﷻ ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ﴿٣٢﴾﴾ق، أي الحافظ لأوامر الله ﷻ ونواهيه، الحافظ لذنوبه فيتوب منها إذا وقع فيها، هذا معنى (احفظ الله).

---

[1] أخرجه أبو داود (١٦٤٤)

[2] نحوه أخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم قبل حديث (٦٨) بعضه في أثناء حديث، وأخرجه موصولاً الطبراني (٣٩٥/١٩) (٩٢٩)، والبيهقي في ((المدخل إلى السنن الكبرى)) (٣٥٢).

[3] أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥)، والترمذي (٣٦٠٣)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (٧٧٣٠)، وابن ماجه (٣٨٢٢)، وأحمد (٩٣٥١).

[4] أخرجه النسائي (٦٠/٤)، وعبد الرزاق في ((المصنف)) (٥٤٥/٣)، والطبراني في ((الكبير)) (٢٧١/٧).

[أعظم حفظك لله إقامة توحيده]

وأعظم حفظك الله ﷻ إقامة توحيده ﷻ، وعدم الإشراك به، لأن ذلك هو أصل وزبدة دعوة الرسل، جاءت الرسل كلهم تدعو إلى توحيد الله ﷻ، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ..﴿٣٦﴾﴾النحل، وقال أيضا ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾الأنبياء، وقال ﷻ ﴿..ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ..﴿١٣﴾﴾فاطر، وقال أيضا ﷻ في دعوة الأنبياء نوح، وإبراهيم، وهود، وصالح، وشعيب، ولوط، ونبينا ﷺ، وغيرهم كلهم جاء يأمر قومه بأن يعبدوا الله ﷻ وأن لا يشركوا به شيئا، فهذا أول وأصل ما تحفظ به الله ﷻ، أن تخلص التوحيد، وأن توحد الله حق توحيده، فلا تشرك به شيئا، ﴿..تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ...﴿٢٢٩﴾﴾البقرة، ﴿..تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا..﴿١٨٧﴾﴾البقرة، ﴿..وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ..﴿١﴾﴾الطلاق، فهذا أول ما يحفظ فيه العبد ربه، أن يوحده وأن يخلص له التوحيد.

وأعظم ما أمر الله به ﷻ هو التوحيد، وأعظم ما نهى عنه هو الشرك، فيحذر من الشرك بجميع أنواعه وصنوفه، سواء ما يتعلق بالقول، أو ما يتعلق بالعمل، أو ما يتعلق بالاعتقاد، كلّ ذلك يجتنبه.

[من حفظك لله حفظك للعبادات]

ومن حِفظه لله ﷻ حفظه لصلاته، قال تعالى ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ ..﴿٢٣٨﴾﴾البقرة، وقال ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾المؤمنون، وقال ﷺ (من حافظ عليها كانت له عهدا عند الله أن يدخله الجنة)[1]، وفي الحديث الآخر (من حافظ عليهن كنّ له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة)[2].

[1] أخرجه أبو داود (٤٢٥)، والنسائي (٤٦١)، وابن ماجه (١٤٠١)، وأحمد (٢٢٧٥٦) بنحوه.
[2] رواه أحمد (١٦٩/٢) (٦٥٧٦)، والدارمي (٣٩٠/٢) (٢٧٢١)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٤٦/٣). قال الذهبي في ((تنقيح التحقيق)) (٣٠٠/١): إسناده جيد. وقال العراقي في ((طرح التثريب)) (١٤٧/٢): صحيح. وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٢٩٧/١): رجال أحمد ثقات. وقال أحمد شاكر في ((مسند أحمد)) (٨٣/١٠): إسناده صحيح. وقال الألباني في ((الثمر المستطاب)) (ص٥٣): سنده حسن..

ومما تحافظ عليه -وهو من حفظ الله ﷻ- حفظ الطهارة، قال ﷺ (لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن)[1]، ومن ذلك الطهارة الكبرى، وقد فسر العلماء قوله ﷻ ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾الأحزاب، ظلوم في العمل، جهول في العلم، فمنهم من لا يحافظ على هذه الأمانة، فذكر من الأمانة غسل الجنابة، الطهارة الكبرى.

ومن حفظك لله أن تحفظ اليمين، ﴿...وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ..﴿٨٩﴾﴾المائدة، يحفظ اليمين كما ذكرنا سابقا، حفظ اليمين أن لا يكثر من الحلف واليمين والقسم، هذا أولا، وثانيا إذا حلف وفى، والتزم يمينه، وثالثا، إذا حنث فخالف اليمين كفّر عن يمينه، ورابعا إذا كفّر فيكفر على وفق ما بين الله ﷻ في كتابه، وبينه ﷺ في سنته.

[حفظ القلب والرأس والبطن]

ومن حفظك لله أن تحفظ أعضاءك من الحرام، قال ﷺ فيما رواه الترمذي (استحيوا من الله حق الحياء) قالوا: إنا نستحي والحمد لله يا رسول الله، فقال (ليس ذلك، الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، وتحفظ البطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، فذلك هو الاستحياء من الله حق الحياء)[2].

(تحفظ الرأس وما وعى) الفكر والتفكر، وإن كان علاقته بالقلب، وما حوى البصر، واللسان، والأذن، والشم، وبشرة الرأس كلها، فتحفظك سمعك، وبصرك، ولسانك، عن المحرمات.

(وتحفظ البطن وما حوى) أي تحفظه من الحرام، فلا تدخل بطنك شيئا من الحرام، لا تتعامل إلا بما هو حلال، إن بعت أو اشتريت، إن تعاقدت، إن أبرمت صفقة، إن أجّرت أو استأجرت أو اكتريت .. في كل المعاملات، إنما تتعامل بالحلال لا الحرام.

---

[1] صحيح ابن ماجة (٢٢٦).
[2] رواه التِّرمذي (٢٤٥٨) مِن حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وقال: غريب. وحسَّن إسناده النَّووي في ((المجموع)) (٥/١٠٥)، وحسَّنه الألباني في ((صحيح التِّرمذي)) (٢٤٥٨).

وأن تحفظ القلب أيضا، قال الله ﷻ ﴿...وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ ...٢٣٥﴾ البقرة، تحفظ قلبك عن الشبهات والشهوات، وأعظم شيء أن تحفظه عن الشبهات، والشبهة من الاشتباه، وسميت شبهة لاشتباهها على صاحبها، فيشتبه عليه الباطل بالحق، فيظن الشيء حقا وهو باطل، فيقع في الشرك، الكفر، البدعة، هذه هي الشبهات، الأهواء، البدع، المخالفة لما عليه أهل السنة والجماعة.

وأن تحفظ القلب من الشهوات من الحسد، والحقد، والغيظ، والبغض للمسلمين، والكراهية، والشهوات المحرمة، ونحو ذلك، فهذا أيضا حفظ للقلب عن كل ما هو من الحرام.

وكما ذكرت يدخل في حفظ البطن، حفظه من أن يدخل شيء من الحرام، وقد قال ﷺ (أيما لحم نبت من الحرام) -أو قال (من سحت) - (فالنار أولى به)[1].

وأن تحفظ أيضا ما بين لحييك -اللسان- وما بين رجليك -أي فرجك- قال ﷺ (من يحفظ ما بين لحييه وما بين رجليه دخل الجنة) وفي رواية صحيحة (من يضمن لي ما بين لحييه، وما بين رجليه أضمن له الجنة)[2] لهذا أمر ﷻ وأثنى على المؤمنين الحافظين لفروجهم فقال ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ...٣٠﴾ النور، وقال ﴿..وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ ...٣٥﴾ الأحزاب، هؤلاء وعدهم بمغفرة وأجر عظيم، وقال ﷻ في الثناء على المؤمنين الذين أنزل فيهم سورة ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦﴾ المؤمنون، وقال أيضا ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ٢١ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ٢٢ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ٢٣ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٢٦ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ٢٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٣٠﴾ المعارج.

[1] أخرجه ابن حبان في ((المجروحين)) (١/٣٦٥)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٢٩٤٤)، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (٥/٢٤٨)، (صحيح الجامع) (٤٥١٧).
[2] رواه البخاري.(6474) .

هذا هو حفظك لله ﷻ حاصله أن تحفظ الأوامر والنواهي، فالأوامر ما كان منها على سبيل اللزوم والوجوب، أو على سبيل الندب والاستحباب، تفعله وتبادر، والنواهي ما كان على سبيل الحرام أو الكراهية تتركه وتجتنبه، فعند ذلك تكون قد حفظت الله سبحانه وتعالى.

[حفظ الله لمن حفظه]

(احفظ الله) فإذا حفظت الله حفظك (احفظ الله يحفظك) وحفظ الله ﷻ للعبد على قسمين: الحفظ فيما يتعلق بأمور الدنيا، والحفظ فيما يتعلق بأمور الدين، وهذا وعد من الله سبحانه وتعالى، والله لا يخلف الميعاد، وكما ذكرنا (**الجزاء من جنس العمل**)، قال تعالى ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ..١٥٢﴾البقرة، قال ﴿...إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ...٧﴾محمد، وقال ﴿..وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ..٤٠﴾البقرة، وعهد الله إلينا طاعته، وامتثال أمره ونهيه، فإن الله تبارك وتعالى يوفي بعهده وهو أن يدخلنا الجنة، قال ﷺ (ما حق الله على العباد، أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا) ثم قال لمعاذ (وما حق العباد على الله) قال: الله ورسوله أعلم، قال (أن يدخلهم الجنة إن هم فعلوا ذلك) فالله لا يخلف الميعاد.

[حفظ الله تعالى لعبده في دنياه]

فمن حفظ الله حفظه الله، وحفظ الله للعبد على نوعين:

١= حفظ في أمور الدنيا، أي في مصالح دنياه، كأن يحفظ له بدنه، وماله، وعرضه، وأهله، وأقاربه، ومصالح دنياه، قال ﷻ ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١﴾الانفطار، وقال ﷻ ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ...١١﴾الرعد، قال ابن عباس رضي الله عنهما (**هم الملائكة يحفظونك من أمر الله، احذر أمامك واحذر خلفك، وعن يمينك وعن شمالك، فإذا جاء القدر تُرك**)[1] فتجد الإنسان يمشي السوية، وأحسن مشية، وأحيانا يتعثر في شيء يسير، حجر صغير يتعثر به، قضاء الله وقدره يترك.

[1] تفسير القرطبي (٢٩١/٩)

(احفظ الله يحفظك) قال تبارك وتعالى ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ..﴿٨٢﴾﴾ الكهف، فوالدهما كان صالحا معناه كان حافظا لله ﷻ، حفظه الله في نفسه، فذكره في كتابه، وصار مذكورا إلى يوم الدين أن هذا صالح، وحكم الله ﷻ له بالصلاح، وحفظه في ماله، ترك لأولاده مالا تحت الجدار، الجدار سقط، فبقي المال يظهر، يأخذه الناس ويسرقونه، فحتى يخبأ هذا المال ولا يظهر أرسل له نبيا من أنبيائه، الخضر ﷺ، فبنى ذاك الجدار من غير أجرة ولا مقابل، وحفظ أولاده (فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ) .. (وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ) ولهذا إذا أردت الحفظ لك ولأهلك ولولدك ولمالك فاحفظ الله، فإنك إذا حفظت الله تعالى حفظك الله، ولا عليك إذا أدركتك الوفاة والموت فإن الذي يحفظ السماوات والأرض هو الذي سيحفظ لك أولادك، فما عليك إلا أن تصلح نفسك.

وأعظم ما يهلك العبد لسانه وفرجه، قِ هذين عن الحرام، وعِ ذلك جيدا، فإنه نجاة لك، وحفظ منك لربك تبارك وتعالى.. فهذا الحفظ الأول، وهو أن يحفظك الله ﷻ في أمور دنياك، وقد كان النبي ﷺ يدعو الله تبارك وتعالى في أذكار الصباح والمساء فيقول (اللّهُمَّ إني أسألك العافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللّهُمَّ استر عوراتي، وأمن روعاتي، واحفظني من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي)[1] رواه أحمد وهو حديث صحيح.

[من حفظ الله في شبابه حفظه الله في كبره]

ومن حفظ الله في صباه، وفي قوته، وصلابته، وشبابه، حفظه الله ﷻ في كبره، وضعف قوته، ومتعه ﷻ بسمعه وبصره، وقوته وبدنه، وكم قيل ممن بلغ في السن مبلغا، وبقي له سمعه وبصره وقوته وسلامة بدنه، فقيل له في ذلك متعجبا، فقال (**حفظناها في الصبا، فحفظها الله لنا في الكبر**)، حفظ لسانه عن الحرام

[1] رواه أبو داود (٥٠٧٤)، والنسائي (٢٨٢/٨)، وابن ماجه (٣١٣٥)، وأحمد (٢٥/٢) (٤٧٨٥)، والحاكم (٦٩٨/١). والحديث سكت عنه أبو داود، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصحح إسناده عبدالحق الإشبيلي في ((الأحكام الصغرى)) (٨٩٧) كما أشار إلى ذلك في المقدمة.

فبقي سليما مستقيما لا يتلعثم، حفظ سمعه عن الحرام، فبقي سليما لا صمم به، حفظ بصره عن الحرام، فبقي سليما يبصر به، حفظ يده ورجله وفرجه وجميع أعضائه عن الحرام، فحفظها الله تبارك وتعالى له.

كان بعض العلماء ممن جاوز المائة، وهو متمتع بقوته وعقله، فوثب يوما وثبة شديدة فعوتب في ذلك فقال (**هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر، فحفظها الله لنا في الكبر**) والعكس بالعكس، فكم ممن شاخ وبلغ مبلغا من العمر، كان قد ضيع الله في صغره، فضيعه الله في كبره، وزالت عنه هذه لحواس التي ينتفع بها، فاحفظ الله يحفظك.

قال ابن المنكدر (إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده والدويرات التي حوله، فما يزالون في حفظ من الله وستر) ولهذا يستبشر الإنسان خيرا بأن يجاوره أهل العلم، أهل الصلاح، المتقون، الصالحون الصلحاء، أولياؤه تبارك وتعالى الذين يوحدونه ويعبدونه حق عبادته، العباد، الطائعون، أهل الزهد والورع، والتقوى والخوف، فإن الله يحفظه، ويحفظ أهله وأولاده، بل ودويرات حوله ممن هم قريبون منه، وهذا من حفظ الله ﷻ لهذا العابد.

[من عجيب حفظ الله لمن يحفظه!]

ومتى كان العبد مشتغلا بطاعة الله ﷻ فإن الله تعالى يحفظه في تلك الحال، ومن حفظ الله ﷻ لعبده في أمور الدنيا أن يحفظه ويسلمه ﷻ من كل أذى، بل من عجيب حفظ الله لمن حفظه أن يسخر له الحيوانات المؤذية بالطبع فتحفظه، وقد ذكر في هذا الكثير من القصص، بل وجدت حتى في عهد الصحابة، وذكر أنه في بعض السرايا وبعض الغزوات بعد وفاة النبي ﷺ تعرض له سبع، فكلمه بعض الصحابة، وأنه إنما خرجوا لنشر راية الإسلام، وكلمة التوحيد، فانقاد لهم هذا السبع، ولم يعترض لواحد منهم، وهذا قد ذكر في كتب السير والتراجم، والتاريخ كذلك.

وذكر أيضا أنه وقع أيضا لسفينه، وهو مولى النبي ﷺ، وأنه كسر به المركب في البحر، وخرج إلى جزيرة فرأى الأسد فجعل يمشي معه حتى دله على الطريق، فلما أوقفه عليها جعل يهمهم كأنه يودعه، ثم رجع عنه، وهذا ليس ببعيد ولا غريب، ونسمع الآن أن من الناس من يفني عمره في ترويض الحيوانات المفترسة، فتجده يلاعب الأسد، ويلاعب النمر، وكذا وكذا مما يفترس، هذا صار يصل إليه الإنسان،

فكيف لا يكون من الله تبارك وتعالى! كيف لا يطوع الله ﷻ هذا الحيوان المفترس، الذي هو طوع أمر الله، ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ۝٨٣﴾آل عمران، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝١١﴾ فصلت، ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ.. ۝٤٤﴾الإسراء، فهذه الحيوانات هي طوع أمر الله.

وقد ذكر النبي ﷺ أن مما يكون عليه الناس في آخر الدنيا، مما يقع من الأشراط الكبرى، أن يستتب الأمر ويصير كل من على الأرض من أهل الإيمان، وتقع الموافقة والتوافق بين الإنسان وبين جميع الحيوانات، فلا يعتدي ذئب على غنم، ولا على إنسان، ولا سبع على الإنسان، ولا غير ذلك، حتى الحية، هذا إذا كان في المآل فلمَ لا يكون في الحال؟ والأمر بيد الله ﷻ.

وذُكر في مثل هذا الكثير وعلى العكس فمن ضيع الله ضيعه الله تبارك وتعالى، فضاع بين خلقه، حتى إنه ليدخل عليه من الأذى الشيء الكثير، قال بعض السلف (إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق خادمي ودابتي) ولربما الإنسان يدخل فيجد طبع زوجته تغير، فإما يشبعها ضربا، أو سبا وشتما، ولا يحاسب نفسه هل حفظ الله أو لا؟ انظر إلى نفسك لعلك أنت ضيعت وليست هي، وإنما هي تغير حالها لما وقع فيك من التغير.

فهذا حفظ الله تعالى لعبده في أمر الدنيا.

٢= والحفظ الثاني، وهو الحفظ فيما يتعلق بأمور الدين، وهو أشرف النوعين، وسيأتي ذكره لاحقا إن شاء الله تعالى.